

## المعلم المثالي في الفكر التربوي الإسلامي الإمام الغزالي أنموذجاً

د. محمد فؤاد الحوامدة

أستاذ مساعد- المناهج وأساليب التدريس

قسم العلوم التربوية- كلية إربد الجامعية

جامعة البلقاء التطبيقية- الأردن

### مقدمة الدراسة:

يعد المعلم مفتاح العملية التربوية وسر نجاحها، وهو العامل الأساسي الذي يتوقف عليه نجاح التربية في تحقيق أهدافها ويعد المعلم المنفذ الحقيقي للمنهاج. ولم يعد المعلم مجرد ناقل المعارف من الكتب المدرسية إلى عقول الطلبة، بل أصبح له أدوار أخرى جعلت منه قائداً ومنظماً ومديراً للمواقف التعليمية، بحيث يستطيع من خلال ما يتيح للطلبة من خبرات مربية ومؤثرة وفعالة في تحقيق أهداف أكثر قيمة وأهمية من مجرد تحصيل المعارف وحفظها، لذا فقد حظي باهتمام واضح في تاريخ التربية والتعليم عند معظم الشعوب والأمم منذ أقدم العصور وحتى الآن.

وفي التاريخ العربي الإسلامي حاز المعلم على مكانة خاصة لعناية الإسلام بالتربية والتعليم، ولتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية إلى الكتابة والتعليم والتأديب، وقد أضفت هذه التوجيهات قدسية على العلم والعلماء منذ عصر الرسالة، فصار إلقاء القرآن وتعليم مبادئ الإسلام وقيمه من ضرورات الدعوة وبناء الدولة.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت معلماً)، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان المعلم الأول الذي أرسله الله تعالى إلى البشرية ليعلّمها الكتاب والحكمة ويزكيها، وكان صلى الله عليه وسلم المطبق الأول لتعاليم السماء والمنهج الإلهي سائراً على الأرض؛ فقد وصفته أم المؤمنين بأنه كان خلقه القرآن، وكان القدوة الحسنة لأصحابه؛ يعلمهم بالموعظة الحسنة والتجربة الفعلية والتوجيه النافع وقت الشدائد والحنن، ولمعرفته لأهمية المعلم والتعليم في التربية والدعوة أرسل مصعب بن عمير مع أهل يثرب حين آمنوا ليقوم بواجب التعليم والتربية والدعوة إلى الله تعالى.

وقال صلى الله عليه وسلم (إنما أنا لكم مثل الوالد لولده) (أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان) بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم

سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا (إحياء علوم الدين، الجزء الأول، كتاب العلم، ٥٥).

ومنذ صدر الإسلام اكتسب المعلم العربي دوراً متزايداً انطلاقاً من دوره في تعليم القرآن أولاً ثم باقي العلوم الأخرى، التي تعددت وتنوعت مع تطور العملية التعليمية التي أسهمت في تأسيس الثقافة العربية الإسلامية.

وقد اهتم الإسلام في إعداد المعلم وعلاقته بالتغيرات الحديثة، ومدى تأثير هذه التغيرات على بنيته وانعكاسها على تنمية عقول المتعلمين وخلقتهم ومهاراتهم وإكسابهم المعارف والآداب المختلفة.

وبالنظر في التراث العربي الإسلامي فقد جاء الفكر التربوي في ثلاث صور، هي:

الصورة الأولى: هي تلك الصورة التي يأتي عليها الفكر التربوي مستقلاً بذاته عن غيره من ألوان الفكر، كما طرحها كل من ابن سحنون (٢٤٠هـ) والأخرى (٣٦٠هـ) والقابسي (٤٠٣هـ) والزنجي (٥٩١هـ) وابن جماعة (٧٣٣هـ) وغيرهم.

أما الصورة الثانية: هي تلك الصورة التي يأتي فيها الفكر التربوي متصلاً بغيره من الفكر، سياسياً كان أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو شاملاً، ولكن رغم هذا الاتصال يظل متميزاً في داخل هذا الكل الذي يأتي في إطاره.

والمفكرون المسلمون الذين نحو هذه المنحنى أقل بكثير من المنحنى الأول (الصور الأولى) لذلك نجد أن المفكرين المسلمين من هذا النوع كانوا من الفلاسفة على العموم، وأنهم كانوا متأثرين بالفلسفة اليونانية بصفة خاصة، كما فعل الفارابي (٣٣٩هـ)، وابن سينا (٤٢٨هـ) وغيرهم.

والصورة الثالثة: هي تلك الصورة التي لا نرى فيها فكراً تربوياً بمعنى من المعنيين في صورتين السابقتين، وإنما نرى أفكاراً غير تربوية (سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية...) يتناثر فيها الفكر التربوي. ورغم ذلك فإننا نجد لبعض الأعمال التي تأتي على هذه الصورة قيمة تربوية كبرى. ومن الأمثلة على هذه الصورة ابن تيمية (٧٢٨هـ) وابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) وجمال الدين الأفغاني (١٣١٤هـ) ومحمد عبده (١٩٠٦م) وغيرهم (عبود، ١٩٨٢).

من هنا تناولت هذه الدراسة أبا حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) فهو قبل رسالته (أيها الولد) كان الفكر التربوي عنده، يأتي على الصورة الثالثة التي سبق شرحها، منبثاً في ثلاث مئة وثمانين كتاباً. ورسالته (أيها الولد) انتقل الإمام الغزالي في الفكر التربوي إلى الصورة الأولى التي يأتي فيها الفكر التربوي مستقلاً في ذاته (عبود، ١٩٨٢).

من هنا اعتمدنا في دراسة المعلم المثالي موضوع البحث عند الإمام الغزالي على كتاباته في مؤلفاته بصورة عامة. آخذين بالاعتبار الدراسات والبحوث التي تناولت الإمام الغزالي؛ لأنه من كبار العلماء المسلمين الذين احتلوا مكانه متميزة قديماً وحديثاً. فهو عالم ديني وفيلسوف واقعي، ومفكر ومصالح اجتماعي وصوفي، امتاز بتنوع مؤلفاته وغزارة إنتاجه وتجاربه الروحية العميقة (جحا، ١٩٨٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها). وقد اتفق علماء التاريخ، على أن يجدد المائة الأولى (عمر بن عبد العزيز)، والمائة الثانية (الإمام الشافعي)، والمائة الثالثة (الإمام الأشعري)، والمائة الرابعة (الباقلاني)، والمائة الخامسة (الإمام الغزالي).

### مشكلة الدراسة:

لقد كانت اللغة العربية لدى أسلافنا المهدي ولدت وتربت في أحضانها كثير من العلوم والنظريات، وترعرعت فيه كثير من الاتجاهات العلمية، كما بسطت فيه العديد من المصطلحات التي احتوت كل الإفرزات العلمية، والتي ترتقي في أساسها إلى تلك التي ولدت في الدرس العلمي الحديث، وكان من نتائج هذه الثقافة الإبداعية الرقي الحضاري الذي تجاوز الحدود الزمانية والمكانية في ذلك العصر (عيسى، ٢٠٠٦).

ونتيجة للظروف السياسية التي مرت بها الأمة العربية الإسلامية في تاريخها الطويل، وحالات الضعف السياسي والعسكري التي أصابتها؛ أدى ذلك إلى ضعف اللغة العربية، فمن المسلم به أن اللغة ظل حياة الأمة، ومرآة تبدو على سطحها حال تلك الأمة وما هي عليه من نباهة وسمو، أو ركود وخمول، مما أدى إلى انقطاع الاتصال الفكري بين أبناء الأمة العربية، وانفصال عرى التواصل الحضاري، فحصلت الفجوة بين ما قدمه علماء هذه الأمة من نظريات وعلوم في الماضي والعصور اللاحقة، مما أدى إلى وصف الفكر العربي في معظم تجلياته لا يصدر إلا عن عقلية ثقافية منفعلة لا فاعلة، مقلدة لا مجددة، ناقلة لا مبتكرة.

من هنا تحاول الدراسة الحالية إقامة جسور التواصل الحضارية والمعرفية مع ما قدمه العلماء المسلمون وخصوصاً في المجال التربوي، فالتربية العربية اليوم تعيش حالة من التغير، في ضوء التأثيرات المتزايدة للمنجزات التقنية والتكنولوجية والعولمة؛ تواجه الأنظمة التعليمية والتربوية وأنساقها المعرفية وأطرها الفكرية وفلسفاتها التوجيهية تحديات ضخمة وعميقة.

ومن جهة أخرى يحكم الدور الحضاري المنوط بالأمة العربية والإسلامية، فإن مسألة التعليم والمعلم والتربية تقف في مقدمة أولويات المرحلة الحالية لتطورنا. وينبغي أن ندرك أن رسالة المعلم أو الأستاذ أصبحت اليوم أكثر من أي وقت مضى ذات أبعاد حضارية مصيرية شاملة.

وينظر إلى المعلم على أنه صاحب رسالة مقدسة وشريفة على مر العصور والأجيال، وإذا أمعنا النظر في معاني هذه الرسالة المقدسة والمهنة الشريفة خلصنا إلى أن مهنة التعليم التي اختارها المعلم وانتمي إليها إنما هي مهنة أساسية وركيزة هامة في تقدم الأمم، ومنذ والنظرة للمعلم نظرة تقدير وتبجيل، فهو معلم الأجيال ومربيها، ولكن النظرة قد اختلفت للمعلم عبر العصور، فقديماً كان ينظر للمعلم على أنه ملقن وناقل معرفة فقط، وما على الطلاب الذين يعلمهم إلا حفظ المعارف والمعلومات التي يوصلها إليهم. كما أن المعلم يعتبر المسؤول الوحيد عن تأديب الأولاد وتربيتهم دونما أهمية لدور الأسرة والبيت في التنشئة والتربية السليمة.

ولكن في المقابل إن متطلبات مجتمع القرن الحادي والعشرين بحاجة إلى معلم قادر على استيعاب منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية، ومسلم بمهارات التفكير العلمي المنظم والمعرفة العلمية الشاملة المطلوبة والاتجاهات التربوية الحديثة. فالمعلم الناجح هو القادر على المساهمة الحقيقية والفعالية في بناء مجتمعه وتطويره، وهو القادر على تربية جيل جديد متمسكاً بقيمته وعاداته ولديه القدرة على استخدام الأساليب المختلفة والنظريات الحديثة، و متمشياً مع التقدم العلمي المعاصر.

من هنا جاءت هذه الدراسة لتتناول المعلم المثالي في الفكر التربوي عند الإمام حجة الإسلام (أبو حامد محمد الغزالي (٥٠٥هـ) الفقيه الأصولي الشافعي، مجتهد زمانه وعين أوانه وهو العلامة الزاهد الرباني والفيلسوف الحاذق والمتكلم الماهر صاحب التصانيف والذكاء المفرد، جامع أشتات العلوم له التوليف الحسان التي طارت في الآفاق مثل إحياء علوم الدين، والمستصفى في الأصول، ومقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم في الفلسفة، والوسيط والوجيز في الفقه، ويعد من مجدد القرن الخامس الهجري لم تر مثله العيون لساناً وبياناً ونطقاً وخاطراً وذكاءً وطبعاً فكان من أذكى العالم في كل ما يتكلم فيه.

في ضوء ما سبق يمكن أن تحدد مشكلة الدراسة من خلال التساؤلات الآتية:

ما هي ملامح الفكر التربوي عند الإمام الغزالي؟

من هو المعلم المثالي من وجه نظر الإمام الغزالي؟

ما هي أقسام المراحل التعليمية عند الإمام الغزالي وما هي مواصفات المعلم في كل مرحلة؟

## أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة في محاولتها الربط بين ما قدمه علماء الأمة في ماضيها العريق في المجال التربوي حيث بدلوا عصارة فكرهم في بيان أصول التربية وفلسفتها وطرائق تدريسها، و وقعنا اليوم الذي

يعاني كثير من المشكلات نتيجة الانقطاع عن الماضي والاعتماد على ما أنجزه الآخرون في الأمم الأخرى. فهذه الدراسة دعوة للانفتاح على الثقافة العربية الإسلامية الغنية في شتى المجالات وضرورة الإفادة من القيم والنظريات الصالحة لمواكبة العصر.

أن مكتبتنا العربية المعاصرة تعاني من نقص وقصور فكري لا يتناسب مع عظمة النتاج الفكري والحضاري للأمم العربية الإسلامية، فما زالت الدراسات والأبحاث عن التربية العربية الإسلامية ونظرياتها وأعلامها ومفكراتها بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة.

كما تبرز أهمية هذه الدراسة في الكشف عن مقومات المعلم المثالي في الفكر التربوي الإسلامي، وإظهار أثر العلماء العرب والمسلمين في تقدم الحضارات الإنسانية في مختلف الجوانب العلمية، وكيف أنهم قادوا تلك الحضارات إلى جنة العلم والثقافة.

كما يمكن أن تعد هذه الدراسة مساهمة علمية لإبراز الفكر التربوي عند الإمام الغزالي وخصوصاً فيما يتعلق بالمعلم، بصورة معاصرة يسهل دراستها وتناولها بالتطبيق.

## منهجية الدراسة

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي (Descriptive Methodology) الذي يقوم على جمع البيانات ووصف الظواهر والتحليل المنطقي والمتسلسل للأفكار لاستخلاص الحقائق والاستنتاجات، حيث تناولت الدراسة الفكر التربوي المتعلق بالمعلم عند الإمام الغزالي اعتماداً بشكل أساسي على كتبه "إحياء علوم الدين" و "أيها الولد"، ورسائله "الأدب في الدين" بالإضافة إلى الكتب الأخرى الكثير بصورة عامة.

## نتائج الدراسة ومناقشتها:

يتضمن هذا الجزء عرضاً لنتائج الدراسة، التي هدفت التعرف على المعلم المثالي في الفكر التربوي عند الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، وفيما يأتي عرض النتائج التي تم التوصل إليها في هذه الدراسة، للإجابة عن كل سؤال من أسئلة الدراسة.

للإجابة على السؤال الأول من أسئلة الدراسة: ما هي ملامح الفكر التربوي عند الإمام الغزالي؟ لا بد أولاً من إعطاء نبذة موجزة عن حياة الإمام الغزالي، والتعريف به.

## أولاً- أبو حامد الغزالي (٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ) اسمه ونشأته:

الإمام الجليل أبو حامد الغزالي هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، الملقب حجة الإسلام، والمكنى أبو حامد. ولد في طوس (٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م) من أعمال فرسان في بلاد فارس

وقد كان والده يغزل الصوف ويبيعه، وإلى مهنة والده نسب أبو حامد الغزالي (ابن خلكان، د.ت، ٨١)

نشأ بطوس ودرس بها مبادئ العلوم ثم سار إلى نيسابور وتلقى العلم على يد إمام الحرمين أبي المعالي الجويني إمام الشافعية، حيث ثابر أبو حامد في دراسته حتى عرف بين زملائه بالذكاء وسعة الاطلاع، مما دفع أستاذه الجويني أن يفاخر به العلماء، حتى أصبح الإمام الغزالي من أبرز علماء الشافعية.

وأشتهر بحضور البديهة والقدرة على الحوار المناظرة ودفاعه عن الإسلام والأخلاق الإسلامية والتقى بعد ذلك الوزير نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقي، حيث كان بحضرة الوزير جماعة من كبار العلماء والفقهاء فاتصل بهم واشترك معهم في كثير من الجدل والمناظرات والمناقشات، فظهر عليهم وأقروا له بالفضل والعلم. من هنا اشتهر الإمام الغزالي وسارت بذكره الركبان (الأبرشي، ١٩٦٩). بعد ذلك فوض إليه الوزير نظام الملك التدريس في المدرسة النظامية ببغداد، فأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته، بعد ذلك تنقل بين عدد من المدن من مكة إلى الشام إلى بيت المقدس إلى مصر ثم عاد إلى وطنه بطوس واتخذ خانقاها للصوفية (الخانقان كلمة فارسية تعني الدار أو البيت أو المنزل الذي ينزل بها الصوفية وينقطعون لعبادة الله تعالى) ومدرسة للمشتغلين بالعلم وبقي فيها إلى أن توفي عام (٥٠٥ هـ - ١١١١ م) (شمس الدين، ١٩٨٥).

وللاطلاع على تفاصيل أكثر عن حياة الإمام الغزالي يمكن العودة على كتابه المنقذ من الضلال وهو سيرة ذاتية كتبها بنفسه، وأنظر أيضاً كتاب طبقات الشافعية الكبرى للسبكي وطبقات الشافعية للحسيني.

## ثانياً- عطاءاته الفكرية والعلمية:

الإمام الغزالي كتب واجتهد وجاهد فكان فليسوفاً وعالمًا جليلاً وصوفياً سلك منهج الشافعية في الفقه، وكانت له شخصيته المتميزة بين الفلاسفة والفقهاء وعلماء الأصول والصوفية والمتكلمين. ويمكن أن نحمل أهمية الإمام الغزالي بالنقاط الآتية:

ربط الدين بالعلم: حيث جمع بين الفلسفة والدين، حيث يصفه اليازجي بأنه في نظام تفكيره الثقة بالعلم إلى جانب الإيمان بالوحي كما جاء، وأن يقرنهما بالعمل الخير والمثمر (العسكري، ٢٠٠٠).

ربط بين التصوف والشريعة: حيث عد ديورانت المشار إليه في (العسكري، ٢٠٠٠) اعتناق الإمام الغزالي لمذهب التصوف نصراً باهراً للصوفية فأخذ أهل السنة من بعده التصوف وبه اشتهر.

ربط بين العلم والعمل: قسم الإمام الغزالي العلم إلى قسمين:

علم المعاملة: وهو ما يطلب منه الكشف والعمل به.

علم المكاشفة: ما يطلب منه كشف المعلوم فقط.

فالغزالي يؤكد أن العلم الذي يتصدر الأحياء هو علم المعاملة لأن علم المكاشفة لا رخصة في إيداعه الكتب، بالرغم من أنه الغاية القصوى للطالبين والقاصدين والصدّيقين ويكون التكلم به بالإيمان والرموز لأن عقول الخلق قاصرة عن فهمه. فقضية العلم عند الإمام الغزالي ليس هدفاً بذاته بل بالعمل به (شمس الدين، ١٩٨٥)، حيث يقول الإمام الغزالي في رسالته (أيها الولد): "أيها الولد: النصيحة سهلة والمشكل قبولها لأنها في مذاق متبعي الهوى مرة. إذ المناهي محبوبة في قلوبهم وعلى الخصوص لمن كان طالب العلم الرسمي، ومشتغلاً في فضل النفس، ومناقب الدنيا، فإنه يحسب أن العلم المجرد له سيكون نجاته وخلاصه فيه، وأنه مستغن عن العمل، وهذا اعتقاد الفلاسفة، سبحانه الله العظيم! لا يعلم هذا المغرور انه حيث حصل العلم، إذا لم يعمل به تكون الحجة عليه، كما قال الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم (أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله تعالى بعلمه) (الإمام الغزالي، رسالة أيها الولد).

مشكلة الإمام الغزالي تتمحور في الإجابة عن السؤال الآتي :

هل في استطاعة الإنسان أن يصل إلى اليقين الكامل في عقائده الدينية، فقد أوقف حياته كلها للبحث عن أساس يقيني للإيمان، فأخذ يفتش عليه بين مختلف المذاهب (فؤاد، ٢٠٠٣). حيث يقول الإمام الغزالي أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور، لا خوض الجبان الخدور، وأتوغل في كل مظلمة، وأتحمم علي كل مشكلة، وأتقحم كل ورطة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة؛ لأميز بين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع، لا أغادر باطنياً إلا وأحب أن أطلع علي باطنيته، ولا ظاهرياً إلا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته، ولا فلسفياً إلا وأقصد الوقوف علي كنه فلسفته، ولا متكلماً إلا وأجتهد في الاطلاع علي غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفياً إلا وأحرص علي العثور علي سر صوفيته، ولا متعبداً إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقاً معطلاً إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته" (الإمام الغزالي، المنقذ من الضلال، ٦٢).

الإمام الغزالي فيلسوف إسلامي: إن الموضوعات التي تناولها الإمام الغزالي والآراء التي أبداهها في كتاباته الغزيرة، التي كان الباعث الأساسي فيها مشكلة فلسفية هي مشكلة اليقين في المعرفة، أي الحقيقة التي اكتشفها الإمام الغزالي هي حقيقة روحية، فهي نور يقذفه الله في الصدر، فذاك النور مفتاح أكثر المعارف (العسكري، ٢٠٠٠).

### ثالثاً - مؤلفاته:

إذا كان الإمام الغزالي قد توفي عن خمسة وخمسين عاماً، معنى ذلك أنه ألف كتبه في خمسة وخمسين عاماً، وأن مجموع هذه الكتب قد بلغ ثلاث مئة وثمانين كتاباً تتراوح بين الكتاب الصغيرة والكتيب

والسفر الضخم (عبود، ١٩٨٢)، وأشهر مؤلفاته كتابه إحياء علوم الدين في عدة أجزاء. ومن أشهر كتبه:

مقاصد الفلاسفة، تحافت الفلاسفة، الإباحية، المنقذ من الضلال، ميزان العمل، معيار العلم، الحكمة في مخلوقات الله، معارج القدس، معارج السالكين، أيها الولد، نصيحة الملوك، حقيقة القرآن، تهذيب الأصول، تلبس إبليس، أساس القياس، المبادئ والغايات، قواصم الباطنية، بداية الهداية، جواهر القرآن.

### رابعاً- ما هي ملامح الفكر التربوي عند الإمام الغزالي؟

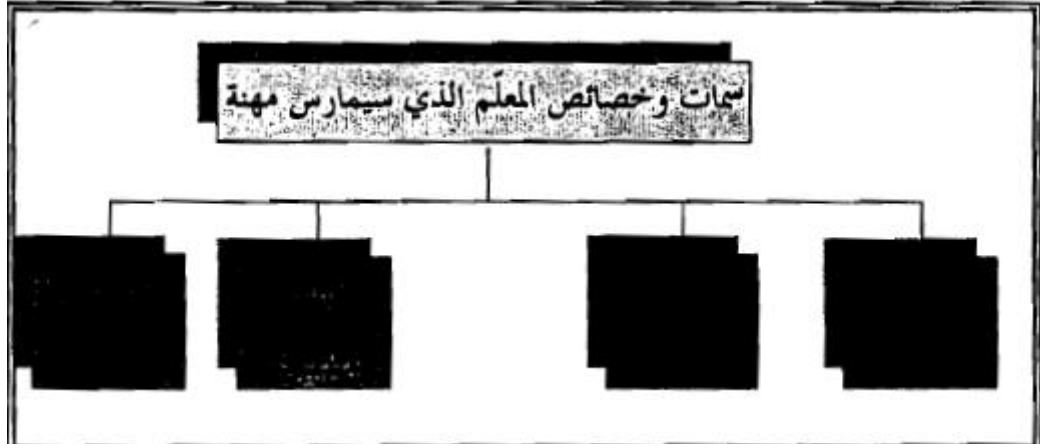
يظهر من خلال التعريف السابق بالإمام الغزالي تظهر ملامح الفكر التربوي عنده، فقد اهتم الإمام الغزالي بكل العلوم والمعارف حتى عصره، وقد احتل مكانة متميزة في الفكر العربي الإسلامي، فقد وضع الإمام الغزالي نظاماً تربوياً متكاملًا وشاملاً ومحددًا من خلال فلسفته الواضحة المعالم، فقد حدد الإمام الغزالي هدفه وغرضه من التربية وصنف العلوم وقسمها وأعطها قيمتها وبين فوائدها للمتعلم، ثم رتب هذه العلوم ونظمها حسب أهميتها وفائدتها، ثم بين أهم المبادئ التي يجب أن يسير وفقها المعلم في أثناء تأديته لوظيفة التعليم والتهذيب، حتى يؤدي هذه الوظيفة علي أكمل وجه (العسكري، ٢٠٠٠).

إلا أن معظم أفكاره التربوية جاءت في كتابين أساسيين كتاب " إحياء علوم الدين " ورسالة "أيها الولد" من هنا اعتمدت على هذين المصدرين للوقوف على آراء الإمام الغزالي ونظرته إلي المعلم المثالي موضوع بحثنا هذا بالإضافة إلي رسالته "الأدب في الدين " فقد تضمنت أبواباً تناولت خصائص معلم الصبيان وآدابه، كذلك آداب العالم.

أما السؤال الثاني من أسئلة الدراسة: من هو المعلم المثالي من وجهة نظر الإمام الغزالي؟

فقد اشترط الإمام الغزالي في المعلم الذي سيمارس مهنة التعليم أن يتصف بمجموعة من السمات أو الشروط، يمكن تقسيمها إلي سمات عقلية وسمات شكلية أو مظهرية وسمات نفسية وأخري اجتماعية، كما يظهر في الشكل الآتي:





أما أهم الشروط التي ينبغي أن تتحقق في المعلم الذي سيمارس مهنة التعليم فيمكن إيجازها بالنقاط الآتية:

شروط العلم في المعلم، فهو في نظر الإمام الغزالي دائماً يقف في المقدمة والعمل تابع وقد قسم العلم إلى نوعين علم المعاملة وهو العلم الذي يتصدر الأحياء، وعلم المكاشفة الذي لا رخصة في إيداعه الكتب بل يكتفي بالتعبير عنه بالرموز والإيحاء. من هنا اشترط الإمام الغزالي علي المعلم أن يكون ملماً بالعلوم الإسلامية الشرعية، بالإضافة للعلوم الأخرى غير الشرعية كالفلسفة والأشعار والحساب والمنطق وغيرها.

شروط الزهد في الحياة ومباهجها: وقد عبر الإمام الغزالي عن هذا الشرط بالقول الإعراض عن حب الدنيا وحب الجاه، وذلك أن حب الدنيا، سيجعل المعلم يتكالب علي مفاتنها مباهجها، مما يحول بينه وبين أن يكون قدوة في نظر طلابه، وهم ينشدون الكمال فيه، مما يعتبر عائقاً في سبيل قيامه بمهمته.

الشرط الثالث عند الإمام الغزالي شرط عقلي، يتصل بالتركيب العقلية لهذا المعلم، فهو ينبغي أن يكون عالماً، تلقي علمه عن شخص بصير (أي عالم حقيقي) ولم يتلقاه عن مدعي علم أو دخيل علي العلم. وأما الشرط

الرابع عند الإمام الغزالي في المعلم، فهو شرط يتصل (بالإطار الثقافي) للمعلم، بمعنى أن (سلوكه) كما يبدو للناس، يجب أن يكون موافقاً لعقيدته التي يعتقدونها، ولعلمه الذي تعلمه، كما أنه شرط يتصل بإطاره النفسي، الذي حدده الإمام الغزالي في الشرط الثاني. وبموافقة مظهره لمخبره، على هذا النحو، تتحقق لهذا المعلم صفة (القدوة)، التي سبق أن وضحنا أهميتها بالنسبة للمعلم.

ولقد حرص الغزالي علي أن يبين أن التمسك بالمبادئ والعمل علي تحقيقها يجب أن يكونا من صفات المعلم المثالي، فنصح المعلم بأن لا ينادي بمبدأ ويأتي أفعالاً تتناقض مع هذا المبدأ ولا يرتضي المعلم لنفسه من الأعمال ما ينهى عنه تلاميذه، وإلا فالمعلم يفقد هيئته ويصبح مثاراً للسخرية والاحتقار

فيفقد بذلك قدرته على قياده تلاميذه ويصبح عاجزاً على توجيههم وإرشادهم. وأما الشرط الخامس، فهو أن يكون قد استفاد باقتدائه بأستاذه، وأن تكون عينه قد وقعت في هذا الأستاذ، علي كل حسن، فاختارته، ليكون إطاراً يتخذه لنفسه؛ عقيدة وفكراً وتصرفاً (الإمام الغزالي، رسالته أيها الولد؛ عبود، ١٩٨٢). ويضيف الإمام الغزالي في رسالته "أيها الولد" وكان بمتابعته ذلك الشيخ البصير جاعلاً محاسن الأخلاق له سيرة كالصبر والصلاة والشكر والتوكل واليقين والقناعة وطمأنينة النفس والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوفاء والوقار والسكون والتأني وأمثالها، فهو إذا نور أنوار النبي صلي الله عليه وسلم، يصلح للاقتداء به. ولكن وجود مثله نادر أعز من الكبريت الأحمر".

أما السؤال الثالث من أسئلة الدراسة: ما هي أقسام المراحل التعليمية عند الإمام الغزالي وما هي مواصفات المعلم في كل مرحلة؟

وضع الإمام الغزالي لكل مرحلة من مراحل التعليم مواصفات خاصة لمعلم كل مرحلة فقد قسمهم إلي:

### أولاً- المرحلة التعليمية الأولى: معلم الصبيان

فقد وضع الإمام الغزالي له مجموعة من الشروط والقضايا التي ينبغي أن يراعيها حتى يصبح معلماً، فعليه أن يبدأ بصلاح نفسه، فإن أعينهم (ويقصد هنا الصبيان) إليه ناظرة، وآذانهم إليه مصغية، فما استحسنته فهو عندهم الحسن وما استقبحة فهو عندهم القبيح، ويلزم الصمت في جلسته، والشزر في نظره، ويكون معظم تأديبه بالرهبة، ولا يكثر الضرب والتعذيب ولا يجادتهم فيجتروا عليه، ولا يدعم يتحدثون فينبسطون بين يديه، ولا يمازح بين أيديهم أحداً، ويتنزه عما يعطونه ويتورع عما بين يديه يطرحونه، يمنعهم من التحريش، ويكفهم من التفتيش، ويقبح عندهم النميمة، ولا يسألهم عن أمر ينوهم فيثقلوه، ولا يكثر الطلب من أهلهم فيملوه. ويعلمهم الطهارة والصلاة، ويعرفهم بما يلحقهم من النجاسة (الإمام الغزالي، رسالته الأدب في الدين، ١٥).

### ثانياً: المرحلة التعليمية الثانية: المعلم أو المدرس (المعلم المرشد)

فقد حدد الإمام الغزالي للإنسان الذي سيمارس مهنة التعليم أربعة أحوال كحاله في اقتناء

الأموال، هي:

حال طالب العلم	حال طالب المال
حال طلب العلم واكتسابه	حال استفادة فيكون مكتسباً
حال تحصيل العلم الذي يغني عن السؤال	حال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنياً عن السؤال
حال استبصار وهو التفكير في المحصل (العلم) والتمتع به	حال إنفاق على نفسه فيكون منتفعاً
و حال تبصير وهو أشرف الأحوال.. (العالم)	و حال إفادته غيره بالإنفاق فيكون به سخياً

منفصلاً وهو أشرف أحواله
-------------------------

وقد شبه الإمام الغزالي من أصاب علماً فاستفاد وأفاد (صاحب الحال الرابعة السابقة)، كالشمس تضيئ لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتري الذي يفيد غيره وهو خال من العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والإبرة التي تكسو غيرها وهي عارية (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ٥٥).

ومن جهة أخرى الإمام الغزالي يرى أن التعليم من أشرف الأعمال وأعظمها نظراً للمسؤولية التي تترتب على المعلم لذلك وضع له آداباً وشروطاً متلائمة مع تلك المسؤولية - كما أشرت سابقاً - ثم يحدد له مجموعة من الوظائف، هي:

### الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجري بنيه:

فالمعلم عنده أكثر فضلاً على الولد من الوالد، فالولد سبب الوجود في الحياة الزائلة، أما المعلم فسبب للوجود في الحياة الباقية الدائمة وإنقاذه من النار، لذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين. ويقول الإمام الغزالي: "ولولا المعلم لأنساق ما حصل من جهة الأب إلي الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا علي قصد الآخرة لا علي قصد الدنيا فأما التعليم علي قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله عز وجل منه" (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ٥٥).

### أن يكون تعليمهم دون مقابل:

أن يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم، فلا يطلب علي إفادة العلم أجراً، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً، بل يعلم لوجه الله وطلباً للتقرب إليه (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ٥٦). قال عز وجل ((وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ)) (هود آية ٢٩).

### أن لا يدخر في نصح المتعلم شيئاً:

أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً، وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي، ثم ينبهه علي أن الغرض بطلب العلوم القرب إلي الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ٥٦).

الوظيفة الرابعة وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزرع المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ: فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة ويورث الجرأة علي الهجوم بالخلاف وبهيج الحرص علي الإصرار إذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم (لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء)، ولأن التعريض أيضاً يميل النفوس

الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفتن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعرب عن فطنته " (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٥٧، ١).

### **أن لا يفرض علي الطالب اتجاهه وميله حيث يري الإمام الغزالي:**

أن المتكفل ببعض العلوم، لا ينبغي له أن يقبح في نفس المتعلم العلم الذي ليس بين يديه، كما جرت عادة معلمي اللغة من تقبيح الفقه، عند المتعلمين وزجرهم عنه، وعادة الفقهاء من تقبيح العلوم العقلية والزجر عنها، بل ينبه على قدر العلم الذي فوقه ليشغل به عند استكمال ما هو بصدد. وأن كان متكفلاً بعلمين مترتبين، فإذا فرغ من أحدهما رعى المتعلم إلى الثاني وراعى فيه التدرج (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ٥٧).

### **أن يتعامل المعلم على قدر فهمه:**

أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله، فينفره أو يخط عليه عقله، اقتداء في ذلك بسيد البشر الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ قال: (نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم). إذ ليس الهدف كثرة التعلم والسير به بسرعة، فما هو الاستيعاب، وكفي لا يكون الانتقال من فن إلى فن إلا بعد فهم وإتقان لما سبقه... فمن منح الجهال علماً أضعاه ومن منع المستوجبين فقد ظلم (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ٥٧).

### **التعامل مع المتعلم بجلاء ووضوح:**

أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقي إليه الجلي اللائق به من العلم، ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه، ويوهم إليه البخل به عنه، إذ يظن كل واحد أنه أهل لكل علم دقيق، فما من أحد إلا وهو راضٍ عن الله تعالى في كمال عقله، وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلاً وهو أفرحهم بكمال عقله.

### **أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله:**

أن يكون المعلم عاملاً بعلمه، فلا يكذب قوله فعله، لان المعلم يدرك بالبصائر، العمل يدرك بالإبصار، وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد، وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك، سخر الناس به واتهموه، وزاد حرصهم على ما نهبوا عنه، فيقولون (لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثال المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش في الطين والظل من العود. فكيف ينقش الطين بما لا ينقش فيه، ومتى استوى الظل والعود أعوج (الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ٥٨). قال الله: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) (البقرة، آية ٤٤).

### **ثالثاً: العالم:**

فقد حدد الإمام الغزالي مجموعة من الآداب التي ينبغي على العالم ان يتحلى بها حيث يقول في رسالته "الأدب في الدين" على العالم: "لزوم العلم، والعمل بالعلم، ودوام الوقار، ومنع التكبير، وترك الدعاء به، والرفق بالمتعلم والتأني بالمتعجرف وإصلاح المسألة للبليد، وترك الأنفة من قول: لا أدري، وتكون همته عند السؤال خلاصة من السائل لا خلاص السائل، وترك التكلف، واستماع الحجة والقبول لها وإن كانت من الخصم.

وقد شبه الإمام الغزالي كما أشرت سابقاً من أصاب علماً فاستفاد وأفاد (العالم)، كالشمس تضيئ لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب..

## الاستنتاجات والتوصيات

إن الفكر التربوي الإسلامي انعقد أساساً حول المعلم الذي ستولى تعليم القرآن الكريم الذي هو كلام الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه، وبالتالي فإنه لا يخضع لنفس المواصفات والمعايير التي تخضع لها باقي العلوم والمعارف. من هنا وضع الغزالي مجموعة من الشروط للمعلم الذي ستولى هذه المهنة المقدسة، حيث يقول الإمام الغزالي " فتعليم العلم من وجه عبادة الله تعالى ومن وجه خلافة الله تعالى وهو من أجل خلافة الله تعالى فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أحص صفاته فهو كالحازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له في الإنفاق منه على كل محتاج إليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تقريبهم إلى الله عز وجل زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى جعلنا الله تعالى منهم بكرمه وصلى الله عز وجل على كل عبد مصطفى (الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ١، ١٣).

إن العملية التربوية تمر بخطوات أو مراحل بتعاقب أو تسلسل مسبق ذا غاية حتمية أو تطور حتمي صاعد فلا يمكن القفز من مرحلة إلى أخرى، وبالتالي جعل الإمام الغزالي لكل مرحلة معلم وله مجموعة من الشروط والسمات والوظائف، فقد قسمهم إلى: معلم الصبيان، والمعلم أو المدرس (المعلم المرشد)، العالم.

إن التكرار للذات هو العنوان الأبرز أو القاسم المشترك بين المعرفة والمعلم وهو على عكس ما قد يتبادر إلى الذهن حين نقرأ كتابه (أيها الولد) بأنه يضع نظاماً ترد إليه كل أنواع النشاط الثقافي، وإنما كان جل همهم إبراز التمايزات والاختراقات التي تنشأ في قلب الممارسة التربوية، إلا أنه لا يقبل ان تكون المعرفة ذاتها قابلة للتحليل ما دامت الحقائق والافتراضات التي يتوصل إليها وليده العقل نفسه، وهو العقل ذاته الذي لا يعفيه الإمام الغزالي من الشك.

إن نقطة الارتكاز عند الإمام الغزالي هي الإنسان نفسه الذي يشكل شعوره مركز النشاط التصوري والمعرفي بعامه، وبالتالي فانه تثبيت فكرة الذات وجعلها في مركز العملية الشعورية عند الإنسان معلماً كان أو غير ذلك لا يقضي على ترابط الأحداث أو تسلسلها التاريخي أو خلخلة المقولات المنطقية الموروثة بل تركيز الفكرة وتعميقها.

من هنا يوصي الباحث بضرورة إدخال أخلاقيات مهنة التعليم كما جاءت عند الإمام الغزالي ضمن معايير تقويم الأداء المهني للمعلم. كما يوصي الباحث بضرورة أن يتوجه الباحثون والتربويون إلى التراث الفكري التربوي العربي الإسلامي، وان يتخذوا منه مصدراً لفكرهم وللنظرية التربوية المعاصرة، ففي تراثنا الفكري ما يلبي احتياجات العصر من الثقافة والتربية وكافة مجالات الحياة.

## المصادر والمراجع:

- الأبراشي، محمد (١٩٦٩)، التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الكتب، القاهرة.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (١٠٨٩ هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار أحياء التراث العربي، ب ت، بيروت مجلد (١).
- ابن خلكان، (د.ت) وفيات الأعيان وابناء وابناء الزمان، تحقيق محمد حجي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة العربية، القاهرة.
- الإمام الغزالي، أبو حامد (١٩٥١)، أيها الولد، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، بيروت.
- الإمام الغزالي، أبو حامد (١٩٦٧) المنقذ من الضلال، تحقيق جميل صليبا، دار الأندلس، بيروت.
- الإمام الغزالي، أبو حامد (١٩٨٩) الأدب في الدين، تحقيق جميل إبراهيم، مطبعة التحرير، بغداد.
- الإمام الغزالي، أبو حامد (د.ت) إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- حجا، فريد (١٩٨٦) الإمام الغزالي والتربية، المجلة العربية للتربية، المجلد السادس، العدد الأول، ص ص ١٣٠ - ١٣٨.
- الحسيني، أبي بكر هداية الله (١٩٧١)، طبقات الشافعية، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الذهبي، شمس الدين (١٩٨٦) سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الرشدان، عبد الله (٢٠٠٤) الفكر التربوي الإسلامي، دار وائل، عمان.
- الزركلي، خير الدين (١٩٨٤) الأعلام، دار العلم للمرايين، ط٦، بيروت، ج٦.
- السبكي، (د.ت) طبقات الشافعية الكبرى، دار المعرفة، بيروت.
- شمس الدين، عبد الأمير، (١٩٨٥) الفكر التربوي عند الإمام الغزالي، دار إقرأ، بيروت.

- عبد الدائم، عبد الله (١٩٨١)، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت.
- عبود، عبد الغني، (١٩٨٢) الفكر التربوي عند الإمام الغزالي كما يبدو ومن رسالته (أيها الولد)، دار الفكر العربي، القاهرة.
- العسكري، كفاح (٢٠٠٠) الفكر التربوي والنفسي عند الإمام الغزالي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- عيسى، عبد الحليم (٢٠٠٦) اللغة العربية الواقع والتحديات، حوليات التراث، جامعة مستغانم الجزائر، العدد (٥). ص ص ٨ - ٢٢.
- فؤاد، عبد الفتاح (٢٠٠٣)، الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية، دار الوفاء، الإسكندرية.
- المالكي، أبو عبد الله بن أبي عبد الله، (١٩٥١) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان، نشر حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥١، ج ١.